

هآرتس: إيران تتقارب مع مصر مع استمرار حملتها الدبلوماسية في الشرق الأوسط



نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية تحليلاً للكاتب تسفي بارثيل حول التقارب الإيراني مع مصر في إطار جهود طهران لتحسين علاقاتها مع دول المنطقة والتي قد تدمر نظام العقوبات الأمريكي المفروض عليها.

وأشار الكاتب في مستهل تحليله إلى خطاب الرئيس الإسرائيلي أمام الكونغرس الأمريكي والذي حذر فيه من أن إيران تسعى لبناء قدرات نووية والتي يمكن أن تشكل تهديداً لاستقرار الشرق الأوسط وخارجه.

وقال هرتسوغ وسط تصفيق مدوي «كل دولة أو منطقة تسيطر عليها إيران أو تتسلل إليها عانت من فوضى شديدة». ثم سرد القائمة: اليمن وغزة وسوريا ولبنان والعراق.

ليست خلفت كل المصائب

ولفت الكاتب إلى أن الدقة التاريخية لم تسعف هرتسوغ؛ ذلك أن اليمن انهار بعد الربيع العربي، الذي لم تكن لإيران علاقة به. وحتى بعد أن شن المتمردون الحوثيون هجومهم على شمال ووسط اليمن، أوصتهم إيران بالتخلي عن مواجهة كبيرة مع الحكومة اليمنية الجديدة، التي تدعمها السعودية.

استمرت هذه الحرب الكبرى، التي بدأها السعوديون والإمارات العربية المتحدة، ثماني سنوات. وفي العام الماضي انتهجت الأطراف المعنية الدبلوماسية بعد ضغوط الأمريكيين الشديدة على الرياض.

حكم العراق صدام حسين، الحليف الوثيق للولايات المتحدة حتى غزا الكويت عام 1990. لأكثر من عقد من الزمان، وكان العراق يخضع لعقوبات أمريكية ودولية شديدة انتهت بحرب العراق عام 2003.

هذا عندما بدأ التدمير الهائل للعراق، مع دخول إيران من الباب عبر النظام الجديد الذي جرى إنشاؤه تحت الإشراف الأمريكي. وقدمت الولايات المتحدة مليارات الدولارات لكيان سجل رقماً قياسياً للفساد.

وقال الكاتب إن إيران تتمتع بنفوذ كبير على العراق وهي أكبر شريك تجاري لها، أكثر من 10 مليارات دولار سنوياً. ولولا الكهرباء والغاز الطبيعي الذي تبيعه إيران للعراق، لكان وضع بغداد أسوأ بكثير. بالمناسبة، لعبت إيران والمليشيات الشيعية التابعة لها دوراً رئيساً في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، أكثر بكثير، على الأقل في المرحلة الأولى، من الجيش العراقي المتعثر، الذي فر من ساحة المعركة بعد أن دربته القوات الأمريكية..

دمرت سوريا بفضل الرئيس بشار الأسد الذي تلقى دعم إيران. لكن نقطة التحول في وضعه جاءت عندما جلبت روسيا جيشها في عام 2015، وهو ما غير من ميزان القوى في سوريا، وأعاد أكثر من 70 في المائة من أراضيها إلى سيطرة الحكومة.

لا يزال لبنان هو الدولة الوحيدة التي شاركت إيران في تدميرها بشكل مباشر، بوساطة حزب الله. ولكن الخلفية الدرامية لنمو حزب الله وهيمنته على لبنان كان وجود إسرائيل هناك لمدة 18 عاماً، مما يجعل هذه المنظمة القوة الوحيدة التي يمكن أن تخلق توازناً في الردع مع إسرائيل.

تهديد إقليمي

وأضاف الكاتب أن إيران ليست قديسة، فقد اعتُبرت تهديداً إقليمياً قبل وقت طويل من إطلاقها برنامجاً نووياً. وهددت ثورة 1979 بالتمدد في دول إسلامية أخرى.

كان التهديد مزدوجاً بطبيعته: يمكن لإيران أن تقوض الأنظمة التي تكافح من أجل تحقيق التوازن بين الدين والدولة، ويمكن أن تهدد الهيمنة السنية في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وعندما صاغت إيران برنامجها النووي على أنه «برنامج إسلامي» مصمم لخدمة جميع الدول الإسلامية ضد القدرات النووية لإسرائيل، واجهت انتقادات ومعارضة شرسة.

جاءت الانتقادات من دول عربية وإسلامية أخرى بدأت ترى إيران ليس فقط باعتبارها تهديداً سياسياً وأيديولوجياً ولكن أيضاً تهديداً عسكرياً. وأخذت هذه العملية التاريخية عدة جولات، آخرها يحدث الآن.

التقارب مع مصر

ونوّه الكاتب إلى أن المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية أصدر إعلاناً مهماً في اليوم الذي خاطب فيه هرتسوغ الكونجرس. وقال أحمد أبو زيد في مقابلة تلفزيونية إن إيران دولة كبيرة لها مصالح إقليمية. وتسعى مصر جاهدة للنظر إلى أنشطة إيران على أنها إيجابية... وإذا كان هذا هو الاتجاه المتخذ، أعتقد أن هذه الروابط ستتطور بوضوح وفي العلن.

وبينما كان أبو زيد يتحدث، أصدر وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان بياناً مشابهاً جاء فيه أن المحادثات مع مصر بشأن الأمور الأمنية بدأت، وجاء التطور الأخير في رسالة من سلطان عمان هيثم بن طارق، الذي زار طهران بعد زيارته للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي.

قبل ذلك، قال الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إنه أبلغ المرشد الأعلى علي خامنئي بهذه المحادثات ونية إحياء العلاقات مع مصر. وأضاف رئيسي أن خامنئي أعطى مباركته لمثل هذه الخطوة.

وكلنت إيران ومصر قد قطعنا العلاقات الدبلوماسية بعد اعتراف مصر بإسرائيل في أواخر السبعينيات؛ وتمسك الرؤساء المصريون بسياسة صارمة تجاه إيران.

وهكذا، على سبيل المثال، انضم السيسي إلى تحالف عربي شكله السعوديون والولايات المتحدة ضد إيران، وانضم إلى مقاطعة قطر التي أطلقها الرياض والإمارات والبحرين، والتي تنبع جزئياً من علاقات قطر الوثيقة مع إيران ودعمها لجماعة الإخوان المسلمين، عدو السيسي في الداخل. وتُصنف الإخوان جماعة إرهابية في السعودية والإمارات.

تحسن العلاقات مع دول الخليج

وأضاف الكاتب أن وحدة دول الخليج ومصر في علاقتهما مع إيران هي وحدة بدأت تتخلى عن عداها للجمهورية الإسلامية. وانتهى الحظر المفروض على قطر في يناير 2021، إلى جانب مطالبتها بقطع العلاقات مع طهران.

في أغسطس الماضي، بعد عام ونصف، استأنفت الإمارات العلاقات مع إيران، وأرسلت سفيراً إلى طهران. وفي وقت لاحق، وقعت الإمارات أيضاً اتفاقيات اقتصادية مع إيران وخففت من سياسة التأشيرات.

وفي مارس، جددت السعودية وإيران العلاقات الدبلوماسية بالكامل وأعلنتا عزمهما على توسيع التعاون التجاري وإحياء اتفاقية الدفاع بينهما اعتباراً من عام 2000. بدأت المحادثات بوساطة العراق.

وقالت القاهرة أيضاً إنها ستستأنف الرحلات الجوية المباشرة بين مصر وإيران، مما يسمح بزيارات للسياح الإيرانيين. وتوقع النقاد المصريون أن يلتقي السيسي ورئيسي بحلول نهاية العام.

مصر تلحق بركب الاستراتيجية الجديدة

وأوضح الكاتب أن مصر لم تغير موقفها فجأة، ولم تتبخر شكوكها وعدائها تجاه إيران فجأة. ولكن السيسي قارئ ماهر للخريطة الاستراتيجية ولا يريد أن يُعرد وحيداً خارج الدائرة العربية التي تخلت عن تقسيم المنطقة إلى مواليين لأمريكا وخصوم لإيران، أو مواليين لإيران وخصوم لأمريكا.

وقد تفككت هذه الكتل خلال العامين الماضيين ويتجلى بشكل خاص في علاقات دول الخليج مع الصين وروسيا واستمرارهم في إقامة علاقات مع واشنطن. ووقعت السعودية والإمارات اتفاقيات استثمار وتجارية مع الصين بمليارات الدولارات، بينما توسطت الصين في استعادة العلاقات السعودية الإيرانية.

وأشار الكاتب إلى أن الآثار التكتونية لهذه الخطوة محسوسة بالفعل: انسحاب الإمارات من التحالف العسكري المناهض لإيران الذي أنشأته واشنطن، وعودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، وإضفاء الشرعية على نظام الأسد على الرغم من اعتراضات الأمريكيين. وكان هذا واضحاً أيضاً في الخطوات الرامية إلى تعزيز المحور الروسي الخليجي عبر إيران، حيث أعلن مجلس التعاون الخليجي عزمه على تعميق التعاون مع طهران.

وكل هذا يعكس استراتيجية جديدة تستمر بموجبه العلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة، ولكن بدون الاحتكار الأمريكي.

وفي غضون ذلك، تلمح واشنطن أيضاً إلى أنها قد تخفف العقوبات قليلاً على إيران. وفرضت الولايات المتحدة هذا الأسبوع عقوبات على 14 مصرفاً عراقياً يشتبه في قيامهم بتزويد إيران بالدولار، لكنها ما زالت تسمح للحكومة العراقية بالدفع لطهران مقابل الكهرباء باستخدام أموال من البنوك العراقية.

صحيح أن الولايات المتحدة منحت بغداد إعفاءات محدودة من العقوبات من قبل حتى يتمكن العراقيون من سداد مدفوعاتهم لإيران. لكن هذه المرة هناك التقاء للأحداث، وربما ليس من قبيل المصادفة. ونحن نقرأ تقارير عن استعداد واشنطن للإفراج عن الأموال الإيرانية المودعة في العراق وكوريا الجنوبية، ناهيك عن الدفع العراقي لإيران.

ليس من الواضح ما إذا كانت هذه الخطوة جزءاً من الاتفاقات الشفوية بين إيران والولايات المتحدة. ومن المثير للاهتمام أنه لم ترد تقارير عن استمرار إيران في تخصيص اليورانيوم إلى مستوى أعلى.

الخشية من انهيار نظام العقوبات

وقال الكاتب إن نسيم الشرعية العربية يهب على إيران، والتهرب من العقوبات – والذي يقوم به بالأساس الصين وروسيا – يجعل واشنطن تخشى انهيار نظام عقوباتها. ويزداد هذا الخوف خاصة بالنظر إلى أن هذا النظام لم يثبت فعاليته دبلوماسياً.

لا يزال نظام العقوبات يُحترم في معظم الأحيان. وحتى الصين، أكبر راعي للنفط في إيران، ليست في عجلة من أمرها لتنفيذ الاتفاقية التي وقعتها مع إيران لاستثمار 400 مليار دولار على مدى 25 عاماً. ولا تتعجل السعودية لتطوير حقول النفط الإيرانية. وحتى الشركات الروسية، من بينها تلك التي وقعت مذكرات تفاهم مع طهران، لم تشرع بعد في أي أنشطة داخل إيران.

ويختتم الكاتب تحليله بالقول إنه ليس هناك ما يضمن أن هذا الوضع سيستمر إلى الأبد أو حتى يوقع الإيرانيون اتفاقاً نووياً جديداً، خاصة إذا توقفوا عن تخصيب اليورانيوم بنسبة 60 في المائة. وستجبر هذه التطورات الولايات المتحدة على إعادة ضبط سياستها تجاه إيران والمنطقة. والبدئية القائلة بأن واشنطن لن تسمح لإيران بالحصول على سلاح نووي ليست كافية.